

هَادِي الْمُدَرِّسِي

العِشْرَةُ الْمُرَّةُ

يَبْحَثُ عَنْ خَلَاصِّ



دَرَرُ الْبَيَا الْعَرَبِي

العالم
يَبْحَثُ عَنْ خَلَاصٍ



هَادِي الْمُدْرَسِي

العشائر يَبْحَثُ عَنْ خَلَاصِ

د. البَيَّاغ العَرَبِي

ص ٦ : ١٥٥٢٣٩

بيروت - لبنان

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الثانية

منقحة ومزيدة

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أُحْمَدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ *
مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ
نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ *
صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ
الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ *

المقدّمة

كل ما يفعله الإنسان في الحياة ، إنما يفعله لأنه -
في الواقع - تعلم فعله .

تعلم كيف يشرب الماء ، فشرب .

وتعلم كيف يأكل الطعام ، فأكل .

وتعلم كيف يمشي ، فمشى .

وتعلم كيف يقرأ ، فقرأ .

وكل ما يفكر فيه الإنسان إنما يفكر فيه أيضاً لأنه
تعلم أن يفكر فيه .

وهكذا يختلف الإنسان جذرياً عن الحيوان .

فالحَيوان تنبَع كل حركاته وتصرفاته عن وعي وجداني نطلق عليه اسم « الغريزة » بينما الإنسان عاجز عن الحركة والتصرف إلا عن طريق التعلم والتعليم .

ففي الوقت الذي يبحث الكتكوت - مثلاً - عن الطعام بمجرد أن يمزق بـ « قرنه » الكتكوتي الصغير قشرة البيضة ، فإن طفل الإنسان لا يستطيع أن يأكل لقمة واحدة ، ولا أن يشرب قطرة ماء واحدة إلا بعد مرور ما لا يقل عن سنة كاملة ، في حضن الأم وتعاليمها . ولو فرض أنه بعد ذلك ترك ليأكل ويشرب ، ويتصرف كما تمليه عقليته الخاصة ، فإن مجموعة أعماله لن تتعدى حدود أعمال وتصرفات كل المتوحشين في العالم ، كما أن مجموعة أفكاره لن تتعدى والحالة هذه حدود « عورته » و « معدته » : أي أن فكره يحتاج إلى البوصلة تماماً كما يحتاج إليها عمله ، وأكله وشربه .

من هنا نستطيع أن نتأكد من الحقيقة التي تقول أنه لولا مجيء الذين حملوا مشاعل الله على أكتافهم مبشرين بحياة جديدة ، وفق خرائط جديدة لما تغيرت

مسيرة البشرية عن مسيرة القروء في الغابات ، ولما وصل
أي انسان إلى مواقع الإنسانية بأي شكل من الأشكال .

صحيح أن الواحد منا يولد ، ثم ينمو بشكل
طبيعي ويصبح بعد فترة غير طويلة إنساناً متكاملأ بكل
معنى الكلمة ، ولكن هذا لا يعني أنه يولد غنياً عن
التربية ، والتعليم ، لأن الإنسان اليوم يولد على سرير
من تراث الانسانية عبر العصور ، فهو يمتص كل
خصائص هذا التراث خلال فترة نموه ، بحيث لو رمينا
به بعيداً عن مواقع التراث الانساني لأصبح في فترة
قصيرة واحداً من عائلة الوحوش ، وليس أكثر من ذلك
إطلاقاً .

وهكذا فإن الانسان يحتاج إلى من يرش على
طريقه الضوء الأخضر حتى لا تتعثر خطاه في متعرجات
الحياة ، ومن ثم يحافظ على توازنه وتقدمه . أما من دون
عملية « الرش الضوئي » هذه فلن يكون باستطاعة
الانسان ذاته ، أن يتعرف على منحنيات الدرب .

وعلى ضوء هذه الحقيقة يمكن أن نعرف : لماذا
يتعثر الانسان اليوم على وحول الالاهدية والضياع في

كثير من مناطق العالم بينما يرفع الاسلامُ بيديه بوصلة
المجد والسعادة منذ أكثر من ألف عام ؟ .

لا ..

ليس غريباً أن لا يكتشف الآخرون مشاعل
الاسلام على مفارق القمم .. لسبب بسيط جداً هو :
أن هذه المشاعل لم توضع بعد على هذه المفارق ، فهي
مرمية منذ فترة قديمة على السفح ، وأضواؤها منغلقة
على ذاتها .

لأن الذين اكتشفوه لم يتحملوا مسؤوليات
اكتشافه .

إن الاسلام نور .. هذا لا شك فيه ، ولكن
حتى النور يحتاج إلى من يعرفه للانسان ، وبدون ذلك
فقد يفترض أن الظلام هو الحالة الطبيعية للأحياء .

أليست بعض الحيوانات تعيش في ظلمات
المغارات والكهوف من دون أن يمر ببالها خيال النور ؟

إن ضياء الكهرباء الذي أصبحنا لا نستطيع أن
نعيش من دونه كان سيظل مجهولاً - بلا ريب - لو لم

يذهب الانسان ، بخشوع إلى مواقع سكناه ويخرجه من مخابئه .

وان السماء التي نعتبرها اليوم غير قابلة للتحديد كانت ستظل مجهولة لو لم يرحل إليها الانسان ، على يديه ورجليه ، وعقله .

.. وكما في الكهرباء ، والسماء ، كذلك في الاسلام . لا يمكن التعرف عليه إلا بعد اكتشافه . وعملية الاكتشاف تحتاج دائماً إلى الكثير من التعب ، والكثير من العمل ، والكثير من تحمل الألم .

صحيح أن الاسلام فطرة في أعماق كل انسان ، ولكن الغبار الذي يرين على هذه « الأعماق » يجعل من عملية هشّة ضرورة حياتية لاكتشاف ضوء الاسلام .

لا أريد هنا أن أقوم بمحاولة الكشف عن ضوئية الاسلام ، وإنما فقط أريد أن أكشف عن مهاوي البشرية التي باتت تهددها بالدمار وكيف انها تملك - إذا أرادت - أن تتجنب السقوط فيها ، بالعودة إلى الاسلام ..

العالم اليوم .. يتمزق !

العالم اليوم .. يهوي . !

العالم اليوم .. يحترق . !

ولهذا فإنه يبحث - من حيث يدري أو لا يدري -
عن خلاص والخلاص ، يعني العودة إلى الاسلام .
وهذا ما أحاول - في هذا الكراس - أن أُلقي عليه
الضوء .

هَارِدِي الْمُدْرِي

الشارقة

ضياع بلا هوية

عندما يجهل الطفل سبب وجوده في البيت ، أو
يبتعد عن معرفة موقعه من العائلة ، لا يفكر إطلاقاً في
مواقفه ، وكلماته ، وأعماله ، ولا يهتم إن جاءت طيبة
أو رديئة .

وكذلك الإنسان ، عندما يجهل الهدف الحقيقي
لوجوده لا يفكر في مواقفه ، وكلماته ، وأعماله ، ويظل
يدور في حلقة مفرغة من المتاهات ، لا ينتهي من متاهته
إلا لابتداء الضياع في متاهة أخرى ، ويظل يحس طوال
الوقت بجوع كاسح الى مخلص ما . لا يعرف بالضبط
هويته ، تماماً كالطفل الذي يبكي أحياناً لجرعة ماء ،
ولا يعرف أنه عطشان ، فيظل يبكي .. ويبكي ..

وبيكي ، من دون أن يعرف ماذا يريد ؟

إن العالم الذي تمزقه من جانب حركات الرفض والانحلال ، وتحرق أعصابه من جانب آخر حروب الإبادة والاستغلال ، وتنغصص النوم عليه من جانب ثالث ، دمامل الانفجار التي زرعها على مناطق كثيرة من جسد الكرة الأرضية . هذا العالم يبكي الآن على « شيء ما » لا يعرف بالضبط ما هو ؟

ولأنه لا يعرف ما هو ؟ يتصور أن كل سراب هو ماء للشرب ، ويظن أن كل تراب هو طعام للأكل . فإذا ضغطت على أعصابه الحروب ، ولحست عظامه المتفجرات ، التجأ الى الجنس . ولكن الجنس ليس - بالطبع - علاجاً للحرب ، تماماً كما أن الخبز ليس علاجاً للعطش ، ولذلك فإنه سرعان ما يصاب بخيبة أمل نتيجة هذا الالتجاء الارتجالي الذي يكلفه الكثير من الحضارة والمدنية . فيلتجئ الى الانتحار ، والخمور ، والماريوان ، وربما « إل . إس . دي » . ويعود أخيراً الى الحروب لتخلص من الجنس ، والانتحار ، والخمور .

وهكذا ينزلق من متاهة الى متاهة ، ومن ضياع الى ضياع ، كما انزلق اليهود في صحراء سيناء من متاهة الى اخرى ، ومن ضياع الى ضياع . وربما يكون هذا الضياع الذي يعاني منه العالم انتقام يمارسه اليهود - تجار الجنس والإلحاد والحروب - ضد العالم كله عن ضياعهم التاريخي الشهير .



المرض الموهوم

... لأن العالم لا يفهم هوية المتاهة التي ينزلق فيها ، يتصور نفسه مريضاً . ذلك لأن المرض هو غالباً علة التخلف والضياع الجسدي ، والعالم الذي لا يعرف غير الجسد لا يستطيع أن يفهم مرضاً غير مرض الجسد .

فهو من جانب ينشد السعادة ولا يجدها . وهو من جانب آخر لا يستطيع أن يكتشف سبب ذلك . فيتصور أن السبب هو المرض . ولهذا يزدحم الانسان اليوم على أبواب الصيدليات لعله يجد ما يشفيه من مرض ليس بالقطع له وجود .

يقول تقرير وُضع عن استعمال الدواء في العالم :

« . . . استهلاك الدواء في العالم يرتفع بشكل ملفت للنظر . وبصورة خاصة الأدوية المهدئة والرافعة للمعنويات والأعصاب معاً » !! .

« وقد جاء في نشرة إحصائية لوزارة الصحة الفرنسية ، أن العقلية الشعبية قد تغيرت بتأثير الإعلان ، وتوسع الخدمات الاجتماعية فأصبح من حق كل إنسان أن يكون مريضاً . بل إن هنالك فئة من الناس تخاف أن تكون متمتعة بعافية ممتازة ، وإنما إذا امتنعت عن تناول الأدوية فكأنما يخيل إليها أن فرصة الاستمتاع بعافية أحسن وأفضل قد ضاعت » .

« وفي أمريكا أصبح تناول الحبوب المختلفة أمراً متعارفاً عليه ، وصارت حبة الدواء كفنجان القهوة أو الشاي أو الخبز والماء . وتبلغ نسبة المتعلقين بأخذ الدواء بمناسبة وغير مناسبة ٨٠ ٪ . بينما تبلغ نسبة المرضى منهم ١٠ ٪ ، وهذا يعني أن ٧٠ ٪ منهم غير مرضى !

ويقول التقرير عن أسباب هذا التعلق غير المعقول :

« ولعل اهتمام الناس في المجتمعات الحديثة

بازدرد هذه الكمية الهائلة من الأدوية يعود في بعضه الى إحساس الانسان المعاصر بأن تناول أدوية الأعصاب بصورة خاصة ، هو خير دلالة على انتمائه لهذا العصر الذي أصبح المرض فيه أمانة وحاجة ودليل تطوّر!!»^(١) .

والواقع :

ان سبب الازدحام غير المعقول لا يمكن أن يكون مجرد « دلالة على الانتفاء الى العصر » - كما جاء في التقرير - وإنما هو فقدان الانسان المعاصر لتوازنه بين المادة والروح ، أي إهماله جانب الروح لحساب جانب المادة ، وضياعه بين علب الايديولوجيات المصنوعة من البلاستيك والتي تُباع بسعر زهيد مُغري !

(١) مجلة « الشبكة » البيروتية ، عدد ٨٢٠ - اكتوبر - ١٩٧١ .

الجرمة : عصنة العالم

بات الناس في جميع أنحاء العالم يشكون من
الجرمة .

كل منطقة من مناطق الأرض تشكو من ازدياد
الجرمة . ولهذا فإن الجميع يسعون - جاذين أو غير
جاذين - للحد من الجرمة ، سواء عن طريق فرض
العقوبات ، أو عن أي طريق آخر .

وعلى مرّ الأيام تتطور الجرائم ، وتتطور معها
آلات اكتشافها . فبعد طبع البصمات والأدلة الجنائية ،
وكلاب الجرمة ، حلّ التلفزيون مكان الخبير وأدواته
وخبرته ليتولى ، وببساطة كلية ، رسم صورة المجرم

بكل وضوح من دون أن يكون معه أي مجال للخطأ أو التأويل أو ما شابه ذلك .

وهذا الابتكار التلفزيوني الجديد يقوم بتركيب مجموعة من الصور فيما بينها ، تعطي في النهاية شكلاً واضحاً لوجه المجرم . ويكفي أن تضع في الآلة التلفزيونية الخاصة هذه ، مجموعة أوصاف ، حتى تخرج بعد لحظات صورة إنسان كاملة على الشاشة الصغيرة .

وقوام هذه الآلة التلفزيونية مجموعة من المرايا المغناطيسية التي تعمل بواسطة الاليكترون بحيث ان كل مرآة تأخذ وضعاً معيناً كالشعر أو الحاجبين أو الأنف . . . الخ وتمزجها كلها ببعض ، ويتناسق مدروس ، لتكوّن منها في النهاية وجه المجرم .

- وماذا كانت النتيجة ؟

- إزدادات الجريمة بنسب جنونية ، وامتد هذا المرض حتى عشعش في أعصاب الأطفال :

« . . . يتبين بالاحصاء ، أن عدد الأطفال المندفعين إلى السرقة والاختلاس أعلى مما تظنه العامة ،

فقد ورد في احصاء حديث انه في كل من فرنسا وألمانيا
وانكلترا نحو من مائة الف طفل يصبحون سارقين
مختلسين كل سنة» (١) .

وإذا جمعنا كل الذين أصبحوا - في فرنسا وألمانيا
وانكلترا فقط - لصوصاً منذ طفولتهم خلال العشر
سنوات الماضية لارتفع عدد لصوص هذه الدول الى
مليون نسمة ، أي أكثر من شعب البحرين ، وقطر ،
ودبي ، والشارقة ، وام القوين مجتمعة .
أليس هذا نوعاً من الضياع الذي يعاني منه
العالم ؟

(١) مجلة « الحوادث » البيروتية ، عدد ٧٧٩ - ١٥ - تشرين الاول عام
١٩٧١ .

التجسس المتطور

عندما ينزلق الانسان من قمة جبل ، فان كل ما يحمله يتحول الى وبالٍ عليه ، مهما كانت قيمة ما يحمله كبيرة .

ولأن العالم ينزلق الآن من قمة الانسانية ، فان كل آلاته وأدواته الحديثة ، تصبح عاملاً من عوامل انهياره وهلاكه .

فالعالم أصبح بفضل التكنولوجيا اسرة واحدة لا تقع حادثة في طرف منه إلا ويعرفها الناس في باقي الأطراف ، قبل أن يمضي أربع وعشرون ساعة على وقوع الحادث .

ولكن لأن هذه الأسرة الواحدة ليست أسرة طبيعية فإن أفرادها - خلافاً لكل الاسر - لا يثق احدهم بالآخر ، فالجميع في هذه الاسرة مصابون بعقدة الخوف من بعضهم البعض ، وهي عقدة يصاب بها الأفراد عادة ، عندما يفقدون روح المحبة والاخوة والتعاون . فيبدأ كل واحد منهم يعمل على حساب الآخرين ، ويخفي عنهم مصالحه ، مما يدفع الآخرين الى التجسس عليه لمعرفة خططه ، وما يمكن الاستفادة منه ضده .

وهكذا ركب أفراد هذه الأسرة عفريت الجاسوسية وهاجس العمالة ، وسادت البلاد والمجتمعات حالة نفسية ، ومناخ سياسي وغط تفكير ، أفسدت الحياة العامة ، وسُممت جو المجتمعات كلها .

ولذلك . . تطور التجسس بشكل آلي . فتحول من عمل عسكري تفرضه ضرورات الحرب ، الى عمل سياسي يرتبط بالادارة ، الى عمل اقتصادي يدور حول الصناعة .

وها قد بدأ يبرز في العالم شيء جديد اسمه « التجسس الصناعي » وبرز لقب « الجاسوس

الصناعي » حتى قيل ان « ماتا هاري » لو عاشت حتى اليوم ، لما اهتمت بمغازلة رئيس أركان جيش كاهتمامها بمغازلة مدير . . مصنع !

وقد بدأت هذه الجاسوسية تنغص العيش على أصحاب المصانع بعد ان نغضت الجاسوسية العسكرية والسياسية العيش على كل من العسكريين والسياسيين .

ويعرف أرشيف العالم المعاصر الآن : آلاف القصص عن الأدمغة في صراعاتها من أجل الحصول على الأسرار الصناعية ، وآلاف القصص عن العلماء - اللصوص ، وقراصنة الأفكار الذين يُقتلون ويُقتلون في سبيل اللصوصية الشريفة طبعاً !

ذلك لأن اليأس المادي غزا نفوس هؤلاء العلماء مع تقدمهم في السن فباعوا هذه النفوس .

والآن لا بد ان نعرف : لماذا التجسس على هذه الطريقة ؟

والجواب : عندما تباع الدول الكبرى ضميرها ، وتبدأ بالتآمر فيما بينها على الدول الصغرى ، فتخفي

عنها أسرار الطبيعة ، تضطر هذه الاخيرة الى استخدام نفس الاسلوب في محاولة للحصول على تلك الأسرار ، وكسر طوق الأسر الذي تفرضه الدول الكبرى .

وإذا سُئل : ولماذا تتآمر الدول الكبرى فيما بينها ضد الدول الصغرى ؟

جاء الجواب : لأن الدول الكبرى تؤمن بمادية الحياة ، ومنطق « كن قوياً حتى أحترمك » وتكفر بالله . ومن ثم تؤمن بالحرص والجشع والاستغلال ، وتكفر بحق الغير في الحياة ، ولا تثق بالآخرين ولا تتعاون . .

ولكن قضية التجسس الصناعي لم تبق محصورة بين الدول الكبرى والدول الصغرى ، لأن الإيمان بمادية الحياة ، لم يكن خاصاً بالدول الصغرى ، ولذلك امتد هذا النوع من التجسس فطوّق الدول الكبرى ذاتها ، وسلب بذلك راحتها ، وأمنها ، وسلامتها .

والمعادلة أصبحت هكذا :

أولاً - تكتشف الدول الكبرى سراً من أسرار الصناعة ، فتتفق فيما بينها على إخفاء هذا السر عن

الآخرين لمنع انتشاره ، ثم تبدأ كل دولة في تطوير ما ينتج عنه ، مما يسبب إحراز أحدها تقدماً كبيراً في ذلك المجال . فتخفي تقدمها عن زميلاتها . ولكن « الزميلات » تكشف هذا التآمر ، فتتفق فيما بينها على سرقة تقدم الزميلة . وتبدأ عمليات التجسس لتدور في حلقة مفرغة لا تنتهي :

« . . . فالسرقة والنهب بمختلف أساليب التجسس نبّه اليها الجميع ، فحذّر الاتحاد السوفياتي شعبه ، كما فعل سواه من الدول المدعية عليه ، وفي طليعتها بريطانيا التي قالت : لنحرس أسرارنا - كما قالت الصحافة السوفياتية - فثمة نقابات دولية تتعدى علينا »^(١) .

وكما فعل الاتحاد السوفياتي كذلك فعلت بريطانيا ، وفرنسا والولايات المتحدة ، فحذرت كل واحدة منها شعوبها من خطر التجسس الصناعي :

« . . وفي نيسان الماضي فقط وعى الرأي العام

(١) Jacques Bergier: Lespionnage Industriel

البريطاني والغربي جسارة ما يُرتكب ضده وضد المؤسسات الصناعية ، فراحت الحكومات تتخذ التدابير التي تحول دون تفاقم الأجهزة الجاسوسية في كل بلد منها ، من الشرق ، ومن الغرب ، ومن روسيا وغير روسيا»^(١) .

وبدل أن تتجه هذه الدول - لمكافحة هذا النوع من الإجرام - إلى قلوب الناس فتطهرهم من عبادة المادة ، وتشحذ ضمائرهم بالإيمان بالله واليوم الآخر ، بدل ذلك اتجهت إلى الأساليب المادية التي لا تقدم ولا تؤخر شيئاً .

« . . وفيها اقترحت مؤسسة في الولايات المتحدة على أصحاب المصانع - وتبلغ ميزانية مكافحة الجاسوسية الصناعية فيها مليار دولار في السنة ، تنفقها المصانع والمختبرات على حماية الاستكشاف العلمي الذي لا يتعدى رقمه ٢٢ ملياراً من الدولارات - بناء قاعة للاجتماعات مركبة يمكن فحص جميع أجزائها بالمجهر قبل تركيبها ، حتى يكون المؤتمرون في مأمن من

(١) المصدر .

جواسيس الصناعة ، كانت مؤسسة ثانية تقدم جهازاً
الكثرونيّاً عازلاً يخلق « قطاع صمت » حول مائدة
الاجتماعات ، وهكذا تطورت الاختراعات في ميادين
مكافحة الجاسوسية الصناعية ، وأصبحت منجزاتها
الغريبة الهائلة تبدو وكأنها وليدة قصة وهمية من خيال
ريشة « فلمنغ » ولكن ما الجدوى طالما أن للجدران أو
النوافذ آذاناً ؟

إن الجاسوسية - كمرض طبيعي لحضارة الإلحاد -
تنتعش وتكبر خيوط شبكاتهما في العالم مع التقدم
والمنافسة حتى كاد لا ينجو من تقاليدھا الجديدة ومن
بدعھا المنزلية كالسلع وأدوات الترف والزينة ، أي
انسان بحيث لا يستطيع أن يحافظ حتى على سرية
حواراته مع زوجته وبنیه في البيت .

وأصبحت تتركب بفعلھا عقد الخوف والمرارة
والقرف ، همّ العصر الحديث . فالانسان أصبح يشك
في كل المجتمعات في ظله وأعوانه وأهله . وهو بذلك
يحارب الأعداء الذين لا يكونون بالضرورة من غير
مجمتمعه وبنی قومه .

الخوف : القلادة الذهبية

ليست القاعدة التي تحكم العالم هي : « عِشْ ودع الناس يعيشون » وإنما هي قاعدة : « عِش واستغل الآخرين للعيش » . ولذا كانت السياسة العالمية قائمة على أساس : « لا صداقة دائمة ولا عداوة دائمة ، بل مصلحة دائمة » !

فأصبح الأصدقاء يخشون الأصدقاء قبل الأعداء . وخلقت بذلك حلقة من الخوف حول العالم لا تقبل التمزق والانفكاك . والخوف - كما يقال - ينمي الأجنحة ، ولذلك فإن هذه الحلقة لم تبقَ - كما أراد صانعوها - وقفاً على الدول الصغار التي تتساوم عليها الدول الكبار عادة ، وتجعلها حقلاً لتجارب سياساتها

وأسلحتها وقوتها ، وإنما تعدتها لتعصر عنق العالم كله .

فالاتحاد السوفياتي يخشى عدوه ومنافسه الصين .

بينما تخاف الصين من قوة اليابان التي تحمل بدورها الكثير من الشكوك حول نوايا أمريكا ، لتدمير قاعدة قوتها ونفوذها الاقتصادي .

ثم التوسع الروسي العسكري والسياسي يزعج كثيراً حكام واشنطن .

بينما أكثر ما يخشاه زعماء الكرملين هو التقارب الأمريكي الصيني ومحور البلقان الذي يهدد جناحهم الجنوبي .

وهكذا سقط العالم في دوامة الخوف والشك والحيرة .

وها هو يبحث عن المخلص الذي يعيد إليه ثقته ووجدانه وتماسكه . . المخلص الذي يشحذ فيه النقاء ويجسد الطهر .

فما عساه أن يكون ذلك المخلص ؟

إن المبادئ والأديان التي قد يفترض أن بإمكانها

خلاص العالم هي أربعة :

واحد : اليهودية .

إثنين : المسيحية .

ثلاثة : المادية النظرية .

أربعة : الاسلام .

ولا بد لنا أن نبحث بتجرد في ما تملكه كل واحدة
من هذه الايديولوجيات من امكانيات لانقاذ العالم .

اليهودية

عندما ننش في تاريخ العالم المعاصر نجد أن اليهودية - بصيغتها الحاضرة - لا تملك أية إمكانيات لخلاص العالم ، وإنقاذ إنسانه .

أولاً : لأن اليهودية هي بذاتها كانت من أبرز أسباب مشاكل العالم وأزماته المصيرية ، ليس على الصعيد الأممي فحسب وإنما على الصعيد الفردي أيضاً .

وإذا كانت اليهودية هي عبارة عن « مجموعة مشاكل » ، فكيف يمكن أن تتحول الى « مجموعة حلول » ؟

ثانياً - لأن المبادئ اليهودية - حسب اعتراف كهنتها وحفاظها - إنما هي خاصة بعائلات معينة تنحد من اصول بالية أكل عليها الدهر وشرب . ولذلك فلا يسمح لغير أبناء هذه العائلات باعتناقها إلا على أساس العمالة ، وليس الزمالة .

إذن : فحتى لو أراد الناس أن يعتنقوا اليهودية كدين موحد ، فإن من المستحيل ان يسمح اليهود لهم بذلك لأنهم يرفضون اعتناق دينهم .

ثالثاً - لأن اليهودية - بالاضافة الى جوانبها الاسطورية - تخلو تماماً من أية نظم تستطيع أن تنظم حياة المجتمعات وتربط علاقاتهم بربطات متينة ، وواضح أن العالم لا يستطيع أن يعيش على مجموعة ضئيلة من القواعد السلوكية ويهمل جوانب المادية الاخرى .

وبالنتيجة : فإن اليهودية لا تستطيع أن تكون مخلصاً للعالم .

المسيحية

والمسيحية - كاليهودية - عاجزة تماماً عن المساهمة ولو بشكل جزئي في إنقاذ العالم . رغم كل مؤسساتها التبشيرية والدعائية الموزعة على كل مناطق الأرض تقريباً .

أولاً - لأن المسيحية لا تحتوي على أية نظم تستطيع أن تنظم علاقات الأفراد المادية والاجتماعية . وكل ما تملك في هذا المجال هو « الوصايا العشر » التي هي من نوع : « لا تزن ! » « لا تشهد شهادة زور ! » « لا تسرق من قريبك » أما النظم الاقتصادية . . أما القواعد التربوية . . أما الخرائط الاجتماعية ، فلا وجود لها في المسيحية .

ثانياً - لأن المسيحية كانت تمارس - خلال المرحلة التي تمزقت فيها إنسانية الإنسان وانزلق الى الهاوية - كل دورها التبشيري . وهذا يعني أن المسيحية لم تستطع في عز قوتها أن تمنع انهيار العالم ، فكيف إذن تستطيع وهي ضعيفة الى درجة كبيرة ، أن تنقذه الآن ؟

ثالثاً - لأن المسيحية لا تملك أجوبة معقولة على الأسئلة التي يطرحها العصر .

ويعترف بهذا الافلاس الشباب المسيحي نفسه :

« . . . في الاحصاء الذي أجرته المجلات في الولايات المتحدة حول « الكنيسة والجيل الجديد » تبين : ان ثمانين بالمائة من الشبان والشابات لا يذهبون الى الكنائس لأنهم يبحثون عن أجوبة عصرية لأسئلة محرجة كالأسئلة التي تتعلق بالفضاء والهيبيين وفيتنام والقنبلة الذرية والملونين »^(١) .

رابعاً - لأن المسيحية لا تستطيع ، بحكم تكوينها

(١) مجلة « الحوادث » البيروتية ، العدد - ٧٧٩ - ١٥ - تشرين الثاني - ١٩٧١ .

الكنسي الرجعي ، أن تقوم بأي دور إيجابي في تغيير تفكير أو صورة العالم . لأن وضع مصير « الدين » على يد أفرادهم على أكثر التقادير أفراد طبيعون من البشر ، يعني إخضاع الدين ذاته للمصالح التي يخضع لها البشر عادة .

فإذا كان البشر يستسلمون للشهوات بسهولة ، فإن معنى ذلك أن المسيحية هي الاخرى ستستسلم لهذه الشهوات .

وهذا ما وقع فعلاً .

فبعد أن عجزت المسيحية عن منع الشباب والشابات من الانزلاق في حمى الجنس ، حاولت أن تعيدهم الى « الطريق » عن طريق الانزلاق معهم ! أي أن المسيحية بدلاً من أن تحاول إنقاذ الشباب ، تاهت هي فيما تاهوا فيه :

« فقد باركت الكنيسة مؤخراً دعوة جديدة انتشرت في أنحاء من الولايات المتحدة ، وهي الدعوة التي تعمل لنشر المسيحية عن طريق موسيقى الجاز ، والرقص الجماعي ، وما شابه ذلك . والمباركة جاءت

هذه المرة من « قداسة » البابا بولس السادس عندما
استقبل في منتصف هذا العام للمرة الأولى في تاريخ
الفاتيكان : فريق موسيقي البوب « غبار دافئ »
Warm-Dust وأثنى عليهم ذكّرهم الله والدين في
أغانيهم » !

ويقول أحد الكهنة في تبرير هذه السقطة الكنسية
في مزالق الجنس :

« المهم أن ذكر الله والدين عاد للظهور على السنة
الشباب والشابات ، وهذا مدينون به للحركة
نفسها »^(١) .

وإذا قيل أن هؤلاء لا يصلّون صلواتهم في
الكنائس ، وهو شرط ضروري لقبول الصلوات في رأي
الكنيسة ؟ أجاب الكهنة « أما فيما يخص الصلاة التي
يقيمونها على طريقتهم وبعيداً عن الكنيسة فلا بد من
تذكر كلمة السيد المسيح في إنجيله : إذا أردت أن
تصلي فاغلق الباب وراءك ، لأن أباك الذي في

(١) المصدر .

السموات يستمع إلى صلواتك ويستجيب لك « إذن فلا مانع من أداء الصلوات خارج أسوار الكنيسة .

ولكن هؤلاء يستعملون « الغيتار » في صلواتهم ، فهم يقحمون الدعاء في الموسيقى ، وليس الموسيقى في الصلاة ؟ إنهم برأي الكنيسة مرة أخرى - أحرار في ذلك لأن « الغيتار » لم يذكر بين الخطايا العشر^(١) !!

ولا بأس إذا عرفت هوية هذه الحركة التي يباركها « البابا » ويبرّر أعمالها الكهنة :

« .. وأهم ما في هذه الحركة أن معتنقيها في غالبيتهم هم من الذين عرفوا بإدمانهم على تعاطي المخدرات ومن الذين يلاحقهم البوليس بتهمة السرقة أو الأغتصاب أو التخريب أو حتى .. القتل »^(٢) .

وهل يمكن لدين يغيّر مبادئه حسب تغير شهوات الشباب والشابات وبارك « الغيتار » و « الجاز » و « تلوى صدور الفتيات مع الفتيان » أن ينقذ العالم من كبوته المعاصرة ؟

(١) و (٢) المصدر السابق .

المادية النظرية

نقصد بالمادية النظرية تلك النظريات المادية التي جرى تغليفها في إطارات فلسفية كالمادية الديالكتيكية مثلاً .

وهذه المادية ليست بطبيعة الحال أكثر من مادية الفكر والعمل التي يَخْتَنقُ العالم الآن من دخانها القاتل . والفرق إنما هو في ان مادية العالم المعاصر هي « على الطبيعة » بينما المادية النظرية « مادية مفبركة » موضوعة في إطار من الأساطير الجميلة .

وإذا كانت المادية - بجميع أشكالها - هي علة سقوط العالم في الجنس ، والتجسس والحروب ، فهل يمكن ان ينقذها « تنظير » هذه المادية و « تفلسفها » ؟

إذا كان النبات المعين علةً لانتشار مرض معين ،
فهل يمكن ان يتحوّل الى دواء لذلك المرض اذا وضعناه
في مزهرية ؟

إن تغليف الميكروب لا يستطيع ان يحوّل الى باقة
برعم ، لأن الميكروب يبقى ، على أية حال ، ميكروباً
ولا ينفعه التغليف المراوغ .

لقد آمن الإنسان بالمال والسيطرة والجنس ، وكفر
بالله والتعاون والعفة ، وبذلك أثر الاستعمار على
المساعدة ، والجنس على الوطن ، والثروة على
الإنسانية . ووقعت الواقعة ، فانهارت المجتمعات
البشرية . فهل يمكن ان تعود هذه المجتمعات صحيحة
الى حالتها الطبيعية لو صبغنا الإيمان بالمال والسيطرة
والجنس بصبغ الفلسفة ، وسطرنا عشرات الأدلة على
صدق هذا الإيمان ؟

ثم ماذا تقول المادية النظرية ؟

لنبحث أولاً ، قضية سقوط العالم ، لنعرف بعد
ذلك ما اذا كانت المادية النظرية مع كامل فلسفتها
تساهم ، ولو بشكل جزئي في إنقاذه ؟

تتلخص الأسباب الرئيسية لسقوط العالم في
النقاط التالية :

١ - انعدام قيمة الإنسان ، كإنسان له مكانة
خاصة في الحياة .

٢ - انعدام النظرة الموضوعية الى الحياة .

٣ - انعدام الهدف من مسيرة الحضارة المادية .

أولاً - انعدام قيمة الانسان :

اذا نظرنا الى الإنسان المعاصر نجد انه لا يتمتع
بأية قيمة عند بني جنسه إلا بمقدار ما يملك من :
أ - القوة المادية .

ب - الوجاهة العائلية .

ج - الوسائط ، التي تملك إحدى الميزتين .

فالإنسان الذي لا يملك أيّاً من ذلك لا قيمة له
إطلاقاً .

والقضية لا تحتاج الى أدلة وبراهين عقلية . يكفي
ان تلاحظ أي إنسان محترم وتنظر هل كان يحظى بأي

احترام لو لم يكن يملك القوة المادية أو الوجاهة أو
الوسائط ؟

إن الواحد منا قد يكون في قمة الفضيلة والمناقبة
والوعي ، ولكنه يبقى عاجزاً عن انتزاع احترام الآخرين
إلا إذا كان يملك الثروة ، أو الوجاهة ، أو الوسائط .

والأمر ليس خاصاً ، بطبيعة الحال ، بإنسان
الشرق الذي نعيش فيه ، وإنما هو نتيجة النظرة المادية
الى الإنسان . فأينما تكون هذه النظرة تكون الالاقمية
والالكرامة له .

ان الإنسان الأمريكي - مثلاً - لا يتمتع بأية قيمة
في بلاده إلا إذا كان صاحب معمل ، ولا فرق إن كان
المعمل يصنع الصابون ، أو يصنع الصاروخ . المهم أن
يكون صاحب معمل ، أو صاحب وجاهة عائلية أو
صاحب من يمتلك أحدهما .

وهكذا . . الانسان الروسي ، والصيني ،
والياباني والهندي .

وهذا يعني أن « المادة » أصبحت هي الهدف ،

وأصبح الإنسان وسيلة لها ، على العكس مما يجب أن يكون .

وإذا فتشنا عن الخلفية الفكرية وراء تعالي المادة على حساب الإنسان نجد أنها تقبع في اعتبار الإنسان مجرد عشب صحراوي ينبت على جدار الرحم كما ينبت أي عشب على رمال الصحراء . ثم انه يتغذى ، وينمو ، ويموت مثل بقية الأعشاب .

فهو . . ظاهرة طبيعية خلقتها عمليات صدفية عمياء من دون شعور ، وتقتلها عمليات صدفية عمياء من دون شعور كذلك .

وإذا كان الانسان عشباً صحراوياً ، فأية قيمة وأية كرامة يمكن أن تكون له ؟

ان النظريات المادية عندما حذفت من حسابها قيمة الانسان كمخلوق لله ، لم تجد بداً من التمسك بالقيم الزائفة التالية :

أ - « القيمة » التي تقوم ان للقوة - لا الانسانية - كرامة ذاتية ، وان الأقوى بناءً على ذلك هو الأصلح للبقاء - كما تقول النظرية الداروينية - .

ب - « القيمة » التي تقول : ان الإنسان ليس أكثر من مجموعة عمليات فسيولوجية ، وان الفكر الانساني ليس أكثر من نتاج لهذه العمليات - كما تقول نظرية باتلوف التعسفية -.

ج - « القيمة » التي تقول : ان غريزة الجنس وغريزة الحقد هما الغريزتان الوحيدتان اللتان تدفعان الانسان إلى اتخاذ مواقف وتحديد تحركاته . وان كل عمل يقوم به الفرد إنما هو نتيجة تحرك غريزة الجنس أو الحقد فيه ، فحتى الطفل عندما يلقم ثدي أمه إنما يفعل ذلك بدافع جنسي - كما تقول أساطير فرويد -.

و - « القيمة » التي تنفي بشكل قاطع وجود إرادة إنسانية تستطيع أن تعلو على ماديات الحياة ، وإنما تؤمن بإرادة الظروف الاقتصادية وفاعلية الأمور المعاشية ، وبعبارة أخرى : تؤمن بالمعدة والفرج ، وتكفر بالفكر والعقل - كما نجد في خرافات ماركس -.

ترى : ما قيمة كائن ينمو كالأعشاب ، ويعمل للجنس ، ويتحرك بلا إرادة ؟ هل يمكن أن نتصور له كرامة ؟

طبعاً لا . إذن فلتستعر الحروب ، ولتنطلق عمليات السلب والنهب واللصوصية الجماعية . ولينتشر الاستعمار في كل أرجاء الأرض .

ثانياً - اللاموضوعية في النظر الى الحياة :

وماذا عن الحياة ؟

لا شك أن الحياة تتحول الى غابة تتماوج فيها حيوانات بشرية وغير بشرية عندما يتحول الانسان إلى مجرد عشب لا عقل ولا شعور له .

ولا شك أن المخلوقات الأخرى تتحول إلى مجرد أشياء لا هدف ولا قيمة لها ، عندما تصبح الحياة مجرد غابة .

إن النظريات المادية لا تستطيع أن تضع برامج للحياة ما دامت لا تستطيع أن ترى وجه الانسان في هذه الحياة .

ولهذا كانت الحياة مطروحة لاشتراء الأفراد الشخصي لا أكثر من ذلك . أما الضوابط الاجتماعية والخلقية فلا وقع لها في حساب أية دولة أو شعب يؤمن

بالمادة ويكفر بالله .

ثالثاً - اللا هدفية في مسيرة الحضارة :

أزاحت الحضارة المادية الانسان من مركز الهدف ، فأصبحت بذلك حضارة مريضة تتجه من حيث لا تشعر إلى نقطة الدمار والفناء ، بينما المفروض فيها أن تتجه إلى حالة التمرکز والحياة .

والدليل على ذلك ان الحضارة المادية لم تبذل أية عناية في تهذيب النفس البشرية ، فهي لم تستطع أن تخفف ما في الانسان من إثرة ، وحب الذات ، والاستئثار على الآخرين ، وطمع في كل لذة ، وشهوة في الجاه والمنصب ، وحب للاستعمار والاستغلال .. إلى آخر ما هنالك من أهواء بشرية تقف عادة في وجه نمو الحضارة .

ولهذا فقد أصبح تقدم الحضارة طريقاً لفنائها . فالتقدم الصناعي الذي نشأ عن التقدم العلمي ، وأدى إلى ازدهار الحياة الاقتصادية ونشاط الحياة الصناعية والتجارية وإلى ارتفاع مستوى المعيشة وارتقاء وسائل الرفاهية ، أدى في الوقت نفسه إلى التنافس على الكسب

والصراع بين الطبقات من أجل الثروة ، وحب الرفاهية ولذة العيش على أفراد الناس . وإلى التنافس بين الدول والقوميات على كسب النفوذ وفتح البلاد واستعمار الشعوب . وكانت النتيجة : الحروب والصراعات الدموية المنتشرة على الأرض منذ أكثر من قرن بصورة مستمرة .

وكان ذلك نتيجة طبيعية لوضع « الآلة » موضع الإنسان كهدف للحياة . الأمر الذي دفع بالعالم الى السير على ضوء الفِكر الخاطئة التي تقول : « التكنولوجيا .. للتكنولوجيا » و« الفن .. للفن » و« الحرب .. للحرب » .

وإذا كانت كل هذه الفِكر من صنائع (المادية النظرية) فهل يمكن الاعتماد على هذه الأخيرة لإنقاذ العالم ، مع العلم أنه انهار على أثر تبني هذه الفكر ؟ هل يمكن أن يتحول الجلال إلى باعث للحياة في الضحية ؟

الإسلام

من خلال نظرة موضوعية الى الاسلام يتكشف للباحث :

أولاً : إن الإسلام يرفع الإنسان الى مكانه الطبيعي كهدف نهائي لخلق الحياة . فهو ليس عشباً صحراويّاً ، ولا ظاهرة عشوائية ، وإنما هو كائن مهدف ، خلقه الله ليسعده ويترحم عليه . وخلق لإسعاده كل أشياء الحياة .

وكما قال الله تعالى - في خطاب له الى الإنسان - : « خلقت الأشياء لأجلك » . وفي نظر الاسلام فإن قيمة الأشياء إنما تتحدد من خلال مدى مساهمتها في خدمة الانسان . غير ان هذا لا يعني أن

للإنسان قيمة ذاتية في مقابل الله ، وانه حرٌ في أعماله ومواقفه هكذا بصورة مطلقة . فالإنسان ليس إلهاً يُعبد ، ولا قيمة ذاتية إلا الله : ﴿وإن إلى ربك المنتهى﴾^(١) . وإنما يعني أن نسبة الأشياء إلى الإنسان هي نسبة الخادم والمخدوم ، كما أن نسبة الإنسان إلى الله هي نسبة العابد والمعبود .

فقيمة الإنسان إنما تتحدد من خلال مدى تمسكه بمحتاج الله ومدى خضوعه لإرشاداته .

وكما قال الله تعالى - في خطابه للإنسان - :
« خلقتك لأجلي » لا حاجة من الله إلى الإنسان ،
وإنما حاجة الإنسان إلى الله .

وهكذا يبني الإنسان كل حساباته على أساس احترام الإنسان وليس على أساس احترام (الآلة) و (التكنولوجيا) . ولكن ليس الإنسان الذي يسف إلى مستوى قرود إفريقيا الجائعة دائماً إلى الجنس والطعام ، وإنما الإنسان القابض على زمام مصيره ، والخاضع

(١) سورة الزخرف الآية ٤٢ .

لإرادة الله العظيم . هذا الانسان الذي مَن تعدى عليه
يكون كمن تعدى على الانسانية كلها : ﴿من قتل نفساً
بغير نفس أو فساد في الأرض فكأنما قتل الناس
جميعاً﴾^(١) .

إن الروايات الإسلامية تتحدث - كدليل على
أهمية الانسان - عن قضية بناء الكعبة التي ترمز الى
وحدانية الله ، وكيف ان ابراهيم عندما أتمّ عملية بنائها
واتكأ على الجدار معبراً عن ارتياحه لإنجاز هذا العمل
الرائع بقوله : (الحمد لله) ، نزل عليه الوحي قائلاً :

- وماذا صنعت يا ابراهيم ؟

وأجاب إبراهيم بارتياح :

- يا رب ، بنيت بيتك .

وكان الجواب : وهل أطعمت جائعاً ؟ وهل
كسوت عرياناً ؟

كأن إطعام الجائع وإكساء العريان أهم في نظر
الإسلام من بناء البيت . لأن البيت الحرام إنما هو لرفع

(١) سورة المائدة الآية ٣٢ .

مستوى الانسان الروحي والفكري ، وليس الانسان إذن
إلا هدفاً لهذا البيت . وهكذا كان الانسان هدفاً
للحياة .

ثانياً : إن الإنسان لا يعتبر الحياة الدنيا نهاية
رحلة الانسان الحياتية ، بحيث يكون الموت عبارة عن
إسدال الستار على هذه الرحلة .

فالانسان - كما قال الرسول الأعظم - خلق للبقاء
لا للفناء . ف وراء هذه الحياة الدنيا حياة ثانية اخرى هي
في الواقع الحياة الحقيقية التي تستحق كل تضحية
وفداء .

وما دام هناك حياة اخرى سيسافر اليها الانسان ،
فلا يجوز أن يصبّ الناس كل اهتماماتهم في (فنجان)
هذه الحياة الضيقة . فلا يجوز - مثلاً - ان يحسب الأفراد
في إقدامهم على أي عمل ، مدى ما يقدمه هذا العمل
من نفع مادي عاجل ، وإنما يجب في الدرجة الاولى ،
أن يعرف الأفراد أن العمل - مهما كان صغيراً - لن
يضيع اذا كان القائم به مخلصاً فيه . فإذا أكرم إنسان ما
صديقه فلا يجب ان يفكر أن هذا العمل سيكون فارغاً

إذا لم يعطِ نتيجة دنيوية ، كإكرام الصديق له ، بحيث يكون هذا العمل مجرد (صفقة تجارية) . وإنما يجب أن يفكر في أن هذا العمل هو نوع من إكرام الله ، على اعتبار أن الانسان مخلوق لله وإكرامه - حتى إذا لم يعط أية نتيجة مادية دنيوية - سيكون له أكبر النتائج عند الله ، وسيجد الانسان جزاءه في الآخرة .

ثالثاً : إن كل عمل يقوم به الانسان - مهما كانت هويته ، طيبة أم خبيثة - لا بد أن يجد جزاءه العادل في يوم ما ، إن لم يكن اليوم فغداً ، وإن لم يكن في غد فبعد غد ، وإن لم يكن في الدنيا ففي الآخرة . المهم أن كل عمل لا بد أن يكون له الجزاء الخاص المناسب .

رابعاً : إن على الانسان باعتباره المخلوق المفكر الوحيد الذي يحتاج في حياته إلى التعلم أكثر من أي مخلوق آخر ، أن يستلهم منهاجه في الحياة من خالقه : الله . لأن محدودية امكانيات الانسان الفكرية ، وجهله الذي لا يقبل الشك ، بمجموعة السنن الكونية والفطرية ، لا تسمح للإنسان أن يكتشف مصالحه من مضاره ، إلا بالمقدار الذي يكشف الله له عن ذلك .

ولكن ليس المقصود من منهاج الله مجرد الصلوات والصيام وإنما المقصود كل منهاج الله ، سواء ما يرتبط منه بالحياة الفردية أو الاجتماعية ، أو الحركية . المنهاج الذي يغلف حياة الانسان ابتداءً من الولادة وانتهاءً بما بعد الموت .

خامساً : إن على كل فرد مسلم ان يعمل بحكم مسؤولياته القيادية لتحقيق منهاج الله في الحياة على أساس قاعدة : «كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته» وقاعدة : « من اصبح ولم يهتم بأمر المسلمين فليس بمسلم » .
.. وبعد .

وإذا كان الانسان اليوم يبحث عن (منهاج الله) من حيث لا يشعر ، لكي يخلصه من (منهاج الشيطان) الذي يمزقه بعنف وقوة فليس عليه إلا أن يفتح عينيه جيداً ، ويعتق الاسلام باقتناع ، ليجد انه لا يُحقق

أُمنيّاته في العدل والحرية فحسب وإنما يحقق له ما لم يكن
يمر بباله أيضاً .

.. اللهم وفقه لذلك .

الشارقة / ٥ رمضان المبارك / ٩١ هـ .

هادي المدرسي

الفهرس

الموضوع	الصفحة
الفاتحة	٥
المقدمة	٧
ضباع بلاهوية	١٣
المرض الموهوم	١٧
الجريمة : عصرنة العالم	٢١
التجسس المتطور	٢٥
الخوف : القلادة الذهبية	٣٣
اليهودية	٣٧
المسيحية	٣٩
المادية النظرية	٤٥
أولاً - انعدام قيمة الانسان	٤٧
ثانياً - الالام موضوعية في النظر الى الحياة	٥١

٥٢.....	ثالثاً - الاهدفية في مسيرة الحضارة
٥٥.....	الإسلام